Arabisch

ابن الله – إنسان من أجلنا

كلمة رعوية

رسالة الصوم الكبير 2025

بقلم الدكتور جورج باتزينغ، أسقف ليمبورغ

«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا» لوقا ٩:٣٥

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء في الإيمان!
من يعرف جذورَهُ جيدًا، يملك القدرة على النموّ وتخطّي التحدّيات بقوّةٍ وثبات. وهذا الأمر يصحّ في الحياة كما يصحّ في الإيمان. في هذه الرسالة الرعوية، أودُّ أن أوجّه انتباهكم إلى قانون الإيمان، الذي تشكّلت معالمُه الأساسية منذ ما يقارب 1700 سنة بالتمام، ثم اتّخذ بعد بضعة عقودٍ صيغتَهُ النهائية التي منحت، منذ ذلك الوقت، الكنيسةَ وجميع المؤمنين جذورًا راسخةً، تُعينهم في مسيرتهم عبر الزمن. بإمكانكم الرجوع إلى نصّهِ في كتاب Gotteslob رقم 586,2 باللغتين الألمانية واللاتينية. أمّا قانون الإيمان النيقاوي فقد كُتب أصلًا باليونانية، وذلك لارتباطه الوثيق بالبيئة التي نشأ فيها.

النضال من أجل الوحدة بعد المنعطف القسطنطيني

كان قسطنطين الكبير أوّل إمبراطورٍ روماني يعلن وقوفه علانيةً إلى جانب المسيحيّين، وأنهى بحقبةٍ طويلةٍ من الاضطهادات ضد المسيحيّين بإبرام معاهدة ميلانو سنة 313م. وقد دعم الكنيسة بسخاءٍ مالي، ومن الواضح أيضًا أنّه تبنّى الإيمان المسيحيّ، وعمل على تعزيز مكانة الأساقفة وتقوية دورهم. مع ذلك، لا شكّ أنّ نواياه لم تكن دينيّةً خالصةً؛ إذ كانت له غايات سياسيّة، تمثّلت في تقوية وحدة الإمبراطوريّة الرومانيّة من خلال تعزيز وحدة الكنيسة. لكن هذه الوحدة كانت مهدَّدةً بنزاعٍ عقائديّ متصاعد. فقد اندلع الصراع في مدينة الإسكندريّة بمصر حوالي العام 318، وسرعان ما امتدَّ وانتشر كالنار في الهشيم. وكان سبب النزاع أنّ الكاهن آريوس أنكر ألوهيّة يسوع المسيح، حفاظًا منه على وحدانيّة الله

المطلقة وتفرُّده الكامل، وهو مبدأٌ موروثٌ من الإيمان الكتابيّ لإسرائيل، ومتأثّرٌ أيضًا بعمق بالفلسفة اليونانيّة. ولذلك اعتبر آريوس أنّ «ابن الله» لا يمكن أن يكون أزليًّا وغير مخلوق مع الآب؛ فالمسيح في رأيه لم يكن مساويًا لله، بل كان أوّل مخلوقات الله وأكملها، والذي استخدمه الله أداةً لخلق العالم وللتواصل مع البشر. وكان آريوس وأتباعه على معرفةٍ دقيقة بالكتاب المقدّس، ويمتلكون ثقافةً فلسفيّةً واسعة، وسعوا إلى صياغة التعليم المسيحيّ بصورةٍ تتلاءم مع المقاييس الفكريّة السائدة في عصرهم. فبدا لهم أنّ القول بتجسُّد الله فكرة سطحيّة يصعب قبولها عقلًا، وهو رأيٌ شاركهم فيه العديد من مثقّفي ذلك الزمان. ورغم الجهود التي بذلها الأسقف لإقناع آريوس بالالتزام بالمبادئ الأساسيّة المشتركة للإيمان المسيحيّ، تفاقمت الأزمة واشتدَّ النزاع. فشعر الإمبراطور قسطنطين بالقلق الشديد من تفكّك وحدة الكنيسة، واتخذ المبادرة بنفسه لمحاولة تسوية هذا الخلاف من خلال عقد أوّل مجمع مسكونيّ في تاريخ الكنيسة. في أوائل صيف سنة 325م، اجتمع نحو 250 مشاركاً من مختلف الكنائس قرب مقر الإمبراطور في مدينة نيقية (التي تُعرف اليوم بمدينة إزنيق في مقاطعة بورصة التركيّة). افتُتح المجمع بحضور الإمبراطور قسطنطين وممثّلي أسقف روما، وبعد نقاشاتٍ لاهوتيّةٍ حادّةٍ ومداولاتٍ مطوّلة، أدان المجمع موقف آريوس وأتباعه، وصاغ بوضوحٍ ودقّة عقيدته الخاصّة، وهي التي نعرفها اليوم بقانون الإيمان النيقاويّ.

كلمة رعوية:

ما نؤمن به عن يسوع المسيح

جوهر هذا الإقرار الإيمانيّ يكمن في القول: إنَّ يسوع المسيح، الابن، هو من جوهر الآب؛ إلهٌ من إله، نورٌ من نور، إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حق، مولودٌ غيرُ مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه العبارة الأخيرة: «المساوي في الجوهر»، ليست مستمدّة حرفيًا من نصوص الكتاب المقدّس، بل استعارت لغة الفلسفة اليونانيّة ومصطلحاتها، بهدف حماية التعبير الكتابيّ عن «ابن الله» من أي تفسيرٍ خاطئٍ أو سطحيّ قد يُظهره وكأنه مجرّد تعبيرٍ مجازيّ لا حقيقةَ واقعيّة له. ورغم أنّ الخلاف حول ما عُرف بـ«الآريوسيّة» استمرَّ في التصاعد لفترةٍ طويلة بعد انعقاد مجمع نيقية واتخاذه القرارات الحاسمة، فإنّ قرار هذا المجمع الأوّل ظلّ ثابتًا وانتصر في نهاية المطاف، وأصبح المرجعيّة الرسميّة المعتمدة لإيمان جميع الطوائف المسيحيّة، وبذلك شكّل أساسًا مشتركًا متينًا للإيمان المسيحيّ.

كيف يواصل مجمع نيقية التأثير على الحياة المسيحية اليوم

وبالمناسبة، لم يكن هذا هو القرار الملزم الوحيد الذي اتخذ في نيقية: فقد تم تحديد موعد عيد الفصح السنوي في ذلك الوقت أيضًا باعتباره يوم الأحد بعد أول قمر مكتمل في الربيع - وما زلنا نحتفل بعيد الفصح في هذا اليوم التقويمي حتى الآن، ويفرحنا اننا في هذا العام نحتفل بعيد الفصح مع الكنائس الأرثوذكسية سوياً. وفي هذه السنة اليوبيلية لإحياء ذكرى المجمع المسكونيّ الأوّل، نرحّب بكلّ المبادرات التي تدعو إلى توحيد تاريخ الاحتفال بعيد الفصح المجيد بين جميع الكنائس المسيحيّة. ومن المفترض أنّ تحديد الإمبراطور قسطنطين يوم الخامس والعشرين من ديسمبر موعدًا للاحتفال بعيد الميلاد يرتبط أيضًا بمجمع نيقية، ويمكن فهمُ هذا التحديد بوصفه تعبيرًا احتفاليًّا خارجيًّا عن الاعتراف بيسوع المسيح إلهًا حقًّا وإنسانًا حقًّا.

العودة إلى الأصول – العودة إلى المسيح

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء في الإيمان،

إذا كنتُ قد وُفِّقتُ حتى الآن في جذب انتباهكم إلى هذا الموضوع، فإنني أرجو أن تشاركوني الاهتمامَ بسؤال جوهريّ: ما الذي يجعلُنا اليوم نعودُ بالتأمل والتفكير إلى حدثٍ وقع قبل نحو 1700 عام؟ بمعزلٍ عن أهميّته التاريخية المجرَّدة، هل تملكُ أحداثُ ذلك الزمن وقراراتُه قيمةً حقيقيّةً بالنسبة لنا نحن المؤمنين اليوم؟ الإجابة هي: نعم، بكلّ تأكيد. نحن المسيحيّين لا نعيشُ إيمانًا منقطِعًا عن جذوره، بل إنَّ حياتنا الروحيّة تنبع من عُمق تلك الجذور التي تمتدُّ إلى قلب الكنيسة وتراثها الحيّ. فمعرفةُ جذورنا الإيمانية تساعدُنا على التعرُّف بشكل أفضل على هويَّتنا كمؤمنين، وتفتحُ لنا بابًا نحو فهمٍ أعمقَ للإيمان. لقد وجدتُ دائمًا في خبرتي الشخصيّة أنَّ التفاعل المكثَّف مع حقائق إيماننا يساعدني في اكتشافٍ عميقٍ لما تعلِّمُه الكنيسة عن سرّ الله الثالوث الأقدس، وطبيعة الكنيسة كجسد المسيح السرّي، وسرّ الخلاص والغفران، والوصيّة المزدوجة لمحبّة الله ومحبّة القريب، وأهمية الصلاة كعلاقة شخصيّة مع الله، ومعنى الأسرار كمصادر النعمة، وأخيرًا الرجاء المسيحيّ في الحياة الأبديّة التي وُعدنا بها. وفي نهاية الأمر، عندما نتحدَّث عن يسوع المسيح وما نؤمن به عنه، فإنّنا نلامسُ جوهرَ الإيمان المسيحيّ وقلبه النابض.

كلمة رعوية:

لذلك، فإنّي أنظر بعين القلق والأسى إلى نتائج استطلاعٍ نُشر عام 2023 حول عضويّة الكنيسة في ألمانيا، والذي أظهر انخفاضًا ملحوظًا ومُقلقًا في نسبة الذين يوافقون على العبارة الجوهريّة: «أؤمن بأنّ هناك إلهًا كشف عن ذاته في يسوع المسيح». وفقًا لهذا الاستطلاع، فإنّ 32% فقط من أعضاء الكنيسة الكاثوليكيّة في ألمانيا اليوم يؤيّدون هذه الحقيقة الإيمانيّة الأساسيّة، وهو ما يشكّل تراجعًا كبيرًا مقارنةً بنتائج استطلاعات سابقة. قد يفسّر البعض هذه النتيجة المُقلقة كنتيجةٍ منطقيّةٍ لمسار العلمنة المتزايد، ولانتشار روح الدّهريّة التي باتت تهمّش حضور الله وتجرّده من معناه وقيمته في حياة الكثيرين. لكن ما لا يمكن تجاهله أنّ اضمحلال إدراك الإنسان لحضور الله لا ينفصل عن تراجُعٍ موازٍ في تمسّكه بالحقائق المركزيّة للإيمان المسيحي. إنّ كل جيلٍ من المسيحيين، بل كلّ مؤمنٍ ومؤمنة، مطالبٌ أمام ضميره وأمام الله بأن يجيبَ بوضوحٍ وحزمٍ على السؤال الحاسم: «من هو يسوع المسيح حقًّا؟». مَن هو هذا الذي نؤمن به ونبني حياتنا عليه؟ هل هو مجرّد معلّم أخلاقيّ؟ أم نبيّ من الأنبياء؟ أم هو حاخام يهوديّ من الناصرة، أو شخصيّة بارزة تركت أثرًا عميقًا في تاريخ البشريّة؟ مثل هذه الأوصاف قد تجد تعاطُفًا وقبولًا خارج حدود الكنيسة، كما تؤكّده الاستطلاعات المتكرّرة. غير أنّ هذه الأوصاف - مع قيمتها وأهميّتها التاريخيّة والثقافيّة - لا تكفي وحدها ليبني الإنسانُ حياته كاملةً على الإيمان بالمسيح، وليحيا ويموتَ في اتّحادٍ وثيقٍ به.

مولودٌ من الآب قبل كلِّ الدهور –
من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا

يُعدّ أثناسيوس الإسكندري من أبرز الأساقفة واللاهوتيّين الذين تركوا أثرًا عميقًا في القرن الرابع الميلاديّ. فقد عانى مرتين من ألم النفي، إذ اضطر إلى مغادرة مصر إلى أقاصي العالم آنذاك – أي إلى مدينة ترير (في ألمانيا) – من أجل تمسُّكه بعقيدة نيقية. ورغم ذلك، بقي ثابتًا في إيمانه، وقدَّم ثلاث حجج عميقة تؤسّس لقانون الإيمان النيقاوي:

أولًا، لو لم يكن المسيح الابن هو الله حقًّا، لما استطاع أن يكشف لنا نحن البشر عن حقيقة الله وجوهره. إذ لكان حينئذٍ مجرَّد حلقةٍ ضمن سلسلة طويلة من الأنبياء والوسطاء، قادرًا على إيصال شيء عن الله، لكن دون أن يكون قادرًا على إظهار وجه الله نفسه. ثانيًا، لو لم يكن الله ذاته قد صار إنسانًا، لما حدث تغيير حقيقيّ ومُخلِّص للإنسان في عُمقه. فإنَّ حياة يسوع، وإعلانه ملكوت الله، وآلامه، وموته، وقيامته، كانت هي الطريق الوحيد نحو الفداء والخلاص الشامل للبشرية. من دون هذا الحدث الإلهي–الإنساني، فإن ما نعيشه من حرّيةٍ داخليّة حقيقيّة وما نختبره من علاقة متجدّدة مع الله تشفي الإنسان من الخطيئة والذنب، يكون بلا أساس، وتكون مسيرتنا الإيمانية منحرفةً عن مسارها الصحيح. أخيرًا، يلفت أثناسيوس، وهو أحد آباء الكنيسة، انتباهنا إلى نقطة جوهريّة: لو كان يسوع المسيح مجرّد مخلوقٍ وليس ابن الله الحقيقي، لكان من الوثنيّة أن نصلّي إليه، وأن نسجد أمامه، وأن نعبده. حينها تصبح كلّ محادثةٍ شخصيّةٍ مع يسوع أو صلاة في الليتورجية الكنسية أمرًا قد يُريح النفس أو ينعشها معنويًّا، لكنّهما لن يتمكّنا أبدًا من خلق تواصلٍ حقيقيّ مع الله، مصدر حياتنا وأساس وجودنا وغايته القصوى. ما زلتُ شخصيًّا أجد هذه الحجج الصلبة لأثناسيوس مقنعة للغاية، ومصدرًا غنيًّا لتعميق إيماني والتأمّل فيه.

كلمة رعوية:

ثقافة المَجمعيّة والشهادة المسيحيّة المشتركة

وبعيدًا عن مسألة طبيعة مخلّصنا وأصله، والتي كانت ملحّةً للغاية في ذلك الوقت، يجدر بنا أن نلتفت إلى مجمع نيقية لأسبابٍ أخرى أيضًا: فهذا الحدث التاريخيّ المهمّ يبيّن لنا أنّ مسيرة الكنيسة عبر تاريخها الطويل لم تَخلُ يومًا من الحوار الجادّ حول القضايا الأساسيّة المتعلّقة بالإيمان، والمواقف الأخلاقيّة الكبرى، وتوجّهات الكنيسة في ضوء تحديات العصر. النقاشات والصراعات حول هذه القضايا لم تكن أمرًا غريبًا عن الكنيسة، بل كانت جزءًا لا يتجزّأ من حياتها ورسالتها. واليوم أيضًا يمكننا أن نواصِل هذه الحوارات بكلّ ثقة، لأنّ الكنيسة بدأت مبكّرًا في تطوير ثقافة المجمعيّة وهياكلها التنظيمية، والتي من خلالها يمكن تعميق إيماننا وتطويره بشكل أكبر، مع الحفاظ في الوقت نفسه على وحدة الكنيسة، أو حتى إعادة اكتشافها وتعزيزها. وما النتائج التي خرج بها سينودس الكنيسة الجامعة (2021-2024) حول موضوع «السينودسيّة»، والتي سيتمّ الآن تطبيقها بشجاعة على جميع مستويات الكنيسة الجامعة، سوى استمرارٍ لهذا التقليد العريق والجليل. في زمن مجمع نيقية، كان همُّ الإمبراطور الرومانيّ الأكبر هو الحفاظ على وحدة الكنيسة كي لا تنهار في مسألة التعبير عن إيمانها بيسوع المسيح. وفي الحقيقة، لا يفترض أن نضع اليوم على الكنيسة توقّعات مختلفة جوهريًّا؛ لأنّ الوحدة كانت، ولا تزال، هي الشهادة المسيحيّة الأساسيّة والحاسمة في نظر كثيرٍ من الناس. ولقد صلّى يسوع نفسه لأجل هذه الوحدة حين قال: «ليكونوا جميعُهم واحدًا [...] حتّى يؤمن العالم» (يوحنا 17: 21). إنني كثيرًا ما أواجه هذه الحقيقة في حواراتي ولقاءاتي مع الأوساط الاجتماعية ومع المسؤولين السياسيّين. فحتى أولئك الذين قد لا يؤمنون إيمانًا شخصيًّا بالمسيح، لا يزالون يعوّلون على أنّنا، كمسيحيّين، نعمل انطلاقًا من روح المسيح، وبعيدًا عن أيّ حدود طائفيّة أو دينيّة، في سبيل العدالة والسلام العالميّ والتماسك الإنسانيّ، والتوجيه الأخلاقيّ المبنيّ على القيم. لهذا السبب، فإن الجهد المسكونيّ المبذول في سبيل تحقيق مزيدٍ من التقارب والتوافق والوحدة المرئيّة بين الكنائس المختلفة، يُمثّل اليوم مهمّةً ضروريّةً ومُلِحّة أكثر من أي وقت[8] مضى.

جمال الإيمان وتناغمه

كلمة رعوية:

أشكركم جميعًا، أيها الإخوة والأخوات الأحباء في الإيمان، على كل ما تبذلونه من جهدٍ والتزامٍ في سبيل الإيمان المسيحي والحياة الكنسية في زماننا الحاضر، وخصوصًا على شهادتكم الشخصية. في سنة اليوبيل هذه، أودّ أن أشجّعكم على التأمل والتفكير في إيمانكم بيسوع المسيح على المستوى الشخصي والجماعي. ماذا يعني يسوع المسيح بالنسبة إليكم؟ كيف تستطيعون أن تُجسّدوا مضمون قانون الإيمان في حياتكم اليومية بصورة حيّةٍ وذات معنى؟ وعندما تصلّون، كيف تتحاورون مع يسوع؟

أمّا أنا، فعندما أتلو قانون الإيمان وأتأمّل فيه، لا أختبر فقط عمق التناغم الداخلي في الإيمان، بل تلمسني أيضًا روعة جماله. فقانون الإيمان الكبير تحديدًا هو في جوهره تسبيحٌ واحدٌ لله، ولهذا السبب يُرنَّم عادةً بحقّ، ولا يُتلى فقط؛ لأن إيماننا الحيّ نفسه هو بالفعل الطريقة الجوهرية التي نعبد بها الله.

أتضرّعُ إلى الله، طالبًا لكم ولكلِّ من هم مرتبطون بكم، بركتَه الوافرة، باسم الآب ✝ والابن والروح القدس. آمين.

ليمبورغ، الأحد الثاني من الصوم الكبير 2025

أسقفكم

+جورج

قانون الإيمان

نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل خالق السماء والأرض كلّ ما يُرى وما لا يُرى وبربٍّ واحد يسوع المسيح أبن الله الوحيد المولود من الآب قبلَ كل الدهور إله من إله، نور من نور،إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر،الذي به كان كلّ شيء الذي من أجلنا نحنُ البشر ومن أجلِ خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وصارَ إنساناً وصُلبَ عنّا على عهدِ بيلاطس البنطي تألّم ومات وقُبِرَ وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب وصعِدَ إلى السماء وجلس عن يمين الله الآب وأيضًا يأتي بمجدٍ عظيم ليدينَ الأحياء والأموات الذي لا فناء لمُلكه. ونؤمن بالروح القدس الرّبّ المُحيي، المنبثق من الآب والإبن الذي هوَ مع الآب والإبن يُسجَد لهُ ويُمَجّد، الناطق بالأنبياء والرُسل وبكنيسة واحدة، جامِعة، مقّدَسة، رَسوليّة ونعترف بمعموديّة واحدة لمغفرة الخَطايا ونترَجّى قيامَة الموتى والحياة في الدهرِ الآتي، آمين.

كلمة رعوية

EINLADUNG ZUM GEBET

① Christus, göttlicher Herr,dich
liebt, wer nur Kraft hat zu lieben:
unbewusst, wer dich nicht kennt;
sehnsuchtsvoll, wer um dich weiß.

② Christus, du bist meine Hoffnung, mein
Friede, mein Glück, all mein Leben:
Christus, dir neigt sich mein Geist;
Christus, dich bete ich an.

③ Christus, an dir halt ich fest mit der
ganzen Kraft meiner Seele:
dich, Herr, lieb ich allein,
suche dich, folge dir nach.

T: Stundenbuch nach „Christe Deus, vitae verae fabricator", Alphanus von Salerno (+1085)
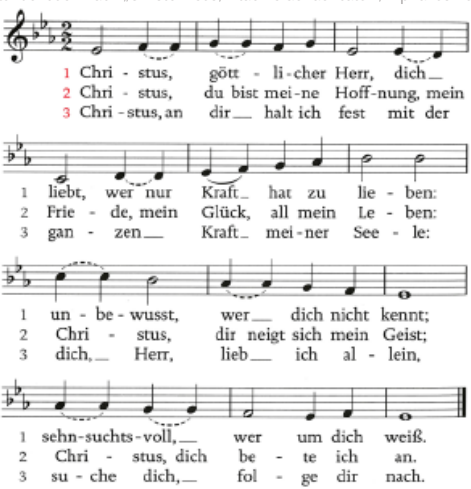
T: Stundenbuch nach „Christe Deus, vitae verae fabricator", Alphanus von Salerno (+1085), M: Barbara Kolberg 2008

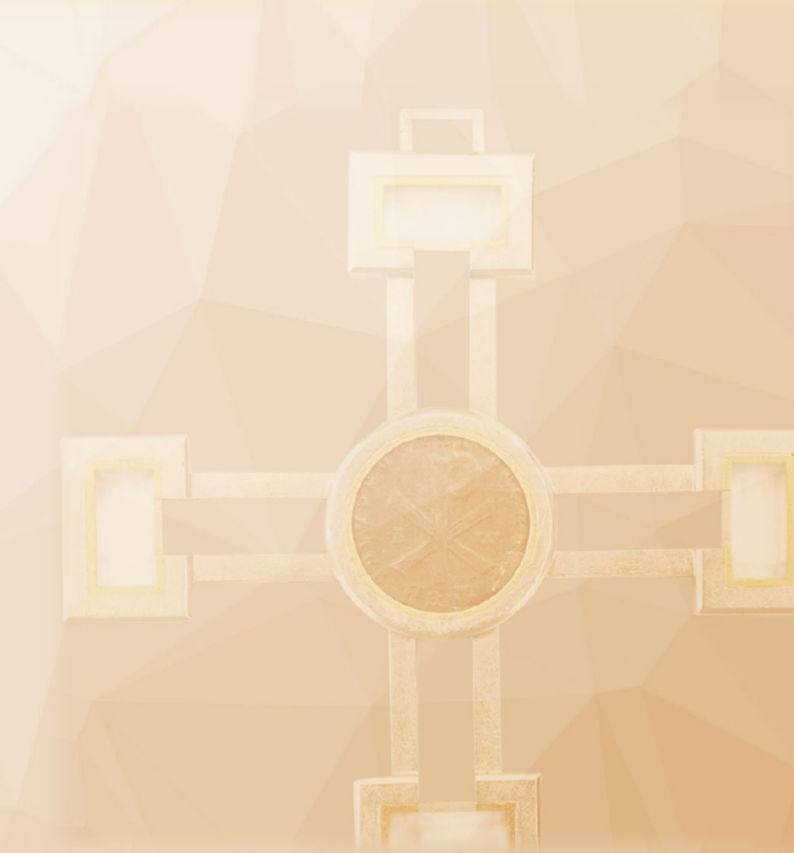

Übersetzung der Ausgabe:
„GOTTES SOHN – MENSCH FÜR UNS“
HIRTENWORT
zur Österlichen Bußzeit 2025
von Dr. Georg Bätzing, Bischof von Limburg